The Readings of Malik and Malak: Which One is More Likely? (A Study in the Light of Narration and Semantics among Prominent Scholars of the Imami School)

Dr. Ali Abdul hassan Jassim Al-Ajliham
General Directorate of Education in Maysan Governorate
Email: alialjlehm@gmail.com

Abstract:

The problem of researching this topic arises from several aspects, namely:
First: The research interest derived from scholarly discussions on the Quranic readings in the postgraduate (Master's) stage. This intellectual stimulation is essential for scientific research in this academic phase.

Second: The insufficient conceptualizations of the Quranic readings in Quranic research among most researchers of the Ja'fari school. Some consider the readings as an extraneous topic to the Quranic knowledge system. As a result, we face the problem of a knowledge phenomenon directly related to the Quranic text, which cannot be neglected or overlooked. Therefore, this research represents an exposition of a reality that we must comprehend and grasp its concepts.

Third: The research topic is connected to a highly significant aspect, namely the recitation of "Malik" and "Malak" in the opening chapter (Al-Fatiha) of the Holy Quran, which the Islamic legislator emphasizes as correct recitation in the obligatory prayer.
As for the research plan, it revolves around two aspects. The first is to examine the method of recitation adopted by the well-known reciters, whether the Seven or the Ten. The second aspect is related to the knowledge system that formed the understanding of the Quranic text, considering its historical and semantic context simultaneously. These two aspects form the central focus of the research, which is presented concisely and intensively.

Key words: Quranic Readings, Malik's Recitation, Malak's Recitation, Reciters.

قراءتا مَلِك ومالك، أيُّهما الأرجح؟
(دراسة في ضوء الرواية والدلالة عند أبرز المحدثين من الإمامية)

المدرس الدكتور: علي عبدالحسن جاسم آل اجليهم
المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان
E-mail: alialjlehm@gmail.com

الملخص:

تأتى الإشكالية للبحث في هذا الموضوع من جوانب عديدة هي:

الأول: الإثارة البحثية المتحصِّلة من نقاش علمي في موضوع القراءات القرآنية في مرحلة الدراسات العليا (الماجستير)، وهي إثارة معرفية تعد من ضرورات البحث العلمي في هذه المرحلة الدراسية .

الثاني: غياب التصورات الوافية عن موضوع القراءات القرآنية في البحث القرآني عند أغلب الباحثين من المذهب الجعفري؛ لأنَّ هناك من يعد القراءات موضوعاً دخيلاً على المنظومة المعرفية القرآنية، والنتيجة أننا أمام إشكالية وجود ظاهرة معرفية تتصل بالنص القرآني اتصالًا مباشرًا، لا يمكن بأي حال ترك البحث والنظر فيها، فكان البحث يمثل إظهارا لواقع يجب علينا إدراكه وتلمس مفاهيمه .

الثالث: يتصل موضوع البحث بقراءة من الأهمية بمكان؛ لأنها ترتبط بجانب عبادي مهم، وهو قراءة (مَلِك، ومالك) في أمّ الكتاب (الفاتحة)، التي يحرص المشرع الإسلامي على صحة قراءتها في فريضة الصلاة.

أما خطة البحث فتتمحور حول أمرين، الأول هو استقراء الكيفية التي جاءت عليها القراءة عما هو مشهور من القراء سواء السبعة أو العشرة، والثاني يرتبط بالمنظومة المعرفية التي شكلت فهم نظام النص القرآني بالنظر لسياقه التاريخي والدلالي في آنٍ واحد، وهذان الأمران شكلا محوري البحث فجاء موجزا ومكثفا.

الكلمات المفتاحية / القراءات القرآنية ، قراءة مالك، قراءة ملك، القرَّاء .

قراءتا مَلِك ومالك، أيُهما الأرجح ؟

(دراسة في ضوء الرواية والدلالة عند أبرز المحدثين من الإمامية)

مدخل:

القراءات القرآنية:

أصبحت القراءات القرآنية تشكل واقعاً، لابدّ من النظر إليه نظرة متأمل مدرك لحقيقة أنها تمثل اجتهاداً للقرّاء، فيما يعرض لهم من تطبيقات نحوية ولغوية، وبما رفدهم السماع مما هو منقول عن طريق الآحاد أو المشهور الذي شاع في قراءة القرآن الكريم ٠

ومن المعلوم أن أغلب ألفاظ القرآن الكريم وآياته هي محور اتفاق بين القرّاء[١]، وأن الاختلاف إنما هو في بعض كيفيات نطق كلمات القرآن وهيأة الحروف، وعرّف القراءات الكثيرون منهم أنها " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القرّاء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء كانت المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيأتها "[٢]٠

وقف الدارسون كثيراً أمام القراءات، إذ درسوا ظواهرها اللغوية والنحوية والآثار الدلالية التي نشأت من اختلافها، غير أن المشكلة الحقيقية تكمن في طبيعة التوثيق لتلك القراءات والأسس الحقيقية التي أسهمت في نشوئها، والتي تعطي البعد الحقيقي لتلك الظواهر اللغوية، فأغلب الباحثين كانت لديهم إسقاطات فكرية هيمنت على جلّ معطياتهم البحثية، وفرضت اتجاها ونمطا فكريا معينا، إذ جاءت هذه البحوث عبارة عن تراكم بحثيّ مؤداه المعطيات نفسها٠

لذا وجدت أن اترك ما اختزنه ذهني من أفكار وقناعات تجعلني غير موضوعي؛ لأجل تتبع قراءة (مَلِك ومالك) في سورة الفاتحة؛ كونهما الأشهر من غيرهما عند القرّاء والعلماء لغرض فهم الأرجح منهما٠

المحور الأول: الروائي (أبرز القرّاء الذين قرؤوا بهما)

قال ابن مجاهد : " اختلفوا في قوله (ملك يوم الدين) في إثبات الألف وإسقاطها فقرأ عاصم والكسائي (مَالكِ يومِ الدّين) بألف، وقرأ الباقون (مَلِكِ) بغير الف ٠٠٠"[٣]، إذ أراد بالباقين القرّاء الخمسة، وهم (ابن عامر، وابن كثير، ونافع، وأبو عمرو البصري، وحمزة الكوفي)٠

وذكر ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) " فقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف مدّا وقرأ الباقون الألف قصرا"[٤] وهذا يعني أن القراء الأربعة الذين ذكرهم قد قرأوا (مالك) في حين قرأوا (ملك)، وجاء أنَّ " قراءة مَلِك بغير ألف رويت أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ بها جماعة من الصحابة والتابعين من بعدهم منهم أبو الدرداء وابن عمر وابن عباس ومروان بن الحكم ومجاهد ويحيى بن وثاب والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن جريج والجحدري وابن جندب وابن محيصن وخمسة من الأئمة السبعة، وهي اختيار أبي

عبيد وأبي بكر بن السراج النحوي ومكي المقري وقد بينت كلامهم في ذلك في الشرح الكبير وأنا أستحب القراءة بهما هذه تارة وهذه تارة "[٥].

وهنا من أحصى أشهر من قرأوا بكلتا القراءتين نحو:[٦]

١- مالك: قرأها عاصم، والكسائي، وكذلك يعقوب، وخلف بن هشام القارئ ، رويت عن أبي هريرة، وقرأ بها الأعمش، والمطوعي ورويت عن عمر بن عبد العزيز، وقرأ بها عون بن أبي شداد العقيلي، و مالك يوم: قرأ بها أبو عبيد .

٢ – ملك: قرأها نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة ، ورويت عن عائشة، وسعد بن أبي وقاص، وأنس بن مالك ، ورويت عن علي بن أبي طالب، وقرأ بها يحيى بن يعمر، وقرأ بها أبو حنيفة، وقرأ بها الشعبي، وأبو عثمان النّهدي، ورويت عن أبي هريرة، وقرأ بها عاصم الجحدري .

في ضوء ما تقدم يمكن القول:

١- إنَّ القراءتين متواترتان عن جملة واسعة من القراء والصحابة والتابعين، ما يعني بأن التواتر حاصل لكليهما، بوصفه رواية جمع عن جمع في سلسلة السند.

٢- في ضوء الإحصاء المتقدم يظهر أن أغلبية القراء قرأوا بـ قراءة (مَلِك).

٣- رواية قراءة (مَلِك) منسوبة للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وهو المتلقي الأول للوحي ومصدر القراءة، وكذلك نسبت للإمام علي(عليه السلام) ربيب الوحي وترجمان القرآن.

٤- ما روي عن الصحابة والتابعين يشير إلى أغلبية من اعتمد قراءة (مَلِك).

وخلاصة ما تقدم تبين أن العامل الروائي يرجح قراءة (مَلِك)، ولا يعترض على قراءة (مالك) التي دلت الروايات على تواترها أيضا.

المحور الثاني: رأي المحدثين من علمائنا بهاتين القراءتين

تأتي رؤى علمائنا متعددة، وهي تعكس انفتاح هذا الموضوع على البحث والتقصي، وأنه لا يقف عند حدود معينة، على الرغم من تطابق المرجعيات الثقافية التي تشكل المنظومة المعرفية عند علماء الشيعة الإمامية تحديدا، وهو ما يشير إلى البعد الموضوعي في البحث، فضلاً عن انفتاح الموضوع للبحث عبر الزمن، وهنا سنتوقف عند ثلاثة اتجاهات هي:

الأول: عدم الترجيح بين القراءات

وذهب إلى هذا السيد الخوئي(قدس) الذي رأى في عنوان بارز(عدم جدوى الترجيح)، إذ يقول : " والصحيح أن الترجيح في القراءات المعروفة لا محصل له، فإن القراءات إن ثبت تواترها عن النبي (صلى

الله عليه وآله) فلا معنى للترجيح ما بينها، وإن لم يثبت كما هو الحق فإن أوجب الترجيح الجزم ببطلان القراءة المرجحة فهو، و من دون إثباته خرط القتاد ٠٠٠ والترجيح في المقام باطل على الخصوص، فإن اختلاف معنى مالك ومعنى ملك إنما يكون إذا كان الملك–السلطة والجدة– أمرا اعتباريا فإنه يختلف حينئذٍ باختلاف موارده، وهذا الاختلاف يكون في غير الله تعالى، وأما مُلك الله سبحانه فإنه حقيقي ناشئ من إحاطته القيومية بجميع الموجودات، فهذه الإحاطة بذاتها منشأ صدق مالك وملك عليه تعالى "[٧]٠

التأمل في النص آنف الذكر يكشف جملة أمور هي:

١– يذهب السيد الخوئي إلى القول بعدم تواتر القراءات جميعها لأسباب توقف عندها تفصيلا وتحقيقا في كتابه البيان٠

٢– يقصد بالقراءة مجموعها الذي يُسند إلى قارئ معين، كقراءة حفص أو الكسائي أو غيرهما؛ لأن النص القرآني في مجمله موضع اتفاق٠

٣– لم يتطرق السيد الخوئي إلى التواتر الجزئي المتحصل من اتفاق جملة واسعة من القراء على القراءة بـ(ملك أو مالك)، إذ يرى في عدم تواتر القراءات بوصفه معطى كلياً ينسحب لمدخلاته الجزئية المفردة٠

٤– إن ترجيح قراءة معينة يجزم ببطلان الأخرى ٠

٥– يبدو أن السيد الخوئي يذهب أن ملك ومالك يعطيان المعنى نفسه، بلحاظ (أن مُلك الله سبحانه حقيقي ناشئ من إحاطته القيومية بجميع الموجودات، فهذه الإحاطة بذاتها منشأ صدق مالك وملك)، ما يعني أنهما يحملان الدلالة نفسها٠

٦– على الرغم من أن السيد الخوئي لا يرجح بين القراءات عامة على المستوى الكلي أو الجزئي، غير أنه استبعد القراءات الشاذة كقراءة (ملْك)، و(مليك)، و(مَلَكَ)، وهذا ما جاء في قوله " واختلفت القراءات في كلمة مالك، والمعروف منها اثنتان: إحداهما على زنة(فاعل)، وثانيتهما على زنة (كتف)، وقرأ بعضهم على زنة (فلْس)، وقرأ بعضهم على زنة (فعيل)، وقرأ أبو حنيفة بصيغة الماضي، وغير الأوليين من القراءات شاذ لا اعتبار به"[٨] في حين اعتمد المشهور، وهذا خدش منهجي واضح للمتأمل؛ لأنه يعني بشكل واضح أنه رجَّح المشهور من هذه القراءات، التي يقول بعدم تواترها أصلا، هذا من ناحية، من ناحية أخرى هو فتح الباب ولم يوصده في البحث في تلك القراءات٠

الثاني: ترجيح قراءة كاملة

ويذهب إلى هذا الطرح السيد محمد صادق الصدر، في كتابه منة المنان، إذ رجَّح قراءة حفص إجمالا ومنها قراءة(مالك) مستندا إلى([٩]) :

١- فصاحتها .
٢- وجود دليل معتبر على انتسابها إلى صاحبها، وهو الاستفاضة المتحققة جيلا بعد جيل.
٣- وجود دليل على إمضائها من قبل الأئمة المعصومين (ع)٠
مستدركا أنه ممكن الاستفادة من سائر القراءات كأطروحات محتملة لدفع مشكلة، أو لتغيير سياق أو لإيضاح معنى .

وهنا نلحظ الآتي:
١- يفهم أساساً أن السيد محمد الصدر رجّح قراءة حفص بمجموعها الموجود حاليا بالمصحف مستثنيا ما يشوبها من نقاط ضعف، ولم ينص على ترجيح قراءة جزئية كـ (مالك) أو غيرها٠
٢- إن ترجيح قراءة حفص جميعها يعني أن هناك تفاضل بين القراءات ما يستدعي للتأمل والبحث في حيثياتها لأجل الوقوف عند الأرجح روائيا ودلاليا٠
٣- فتح السيد محمد الصدر الباب للبحث في سائر القراءات من أجل دفع مشكلة أو تغيير سياق، أو إيضاح معنى ما على حد قوله، وهو هنا منح المتأمل مساحة واسعة في بيان مرامي النص من دون التقيد بحيثيات عقدية تمنع النظر في التاريخ القرائي للنص القرآني

الثالث: ترجيح جزئي لإحدى القراءتين(مالك) أو (ملك)٠

أولاً: قراءة(مالك)

يفهم من تذييل السيد عبد الأعلى السبزواري " وإن كانت قراءة (مالك) أوفق بالعرف "[١٠]، أنه رجَّحها عرفا على قراءة (ملك)، ولم يبحث السيد السبزواري في الاتجاهين لا الروائي ولا الدلالي، مكتفياً بالعرف الذي لم يحدد مقصده منه، فهل هو العرف اللغوي أو الاجتماعي، والأظهر أنه يريد به ما ساد عند الأجيال التي تناولت النص القرآني بالشرح والتفسير والحفظ٠

ويبدو أنَّ السيد السبزواري، رجح العرف في القراءة الثانية (ملك)؛ لأنها هي المرجح عليها، أو المقارن بها مع القراءة المرجوحة، والدليل إعراضه عن القراءات الأخرى، فلم يتطرق لقراءة (مليك، أو مَلَكَ) وغيرهما .

ثانيا: قراءة(مَلِك):

وهذا ما يذهب إليه الباحث في بحثه هذا، مستندا إلى جملة من المعطيات التي تشير بشكل واضح إلى ترجيح قراءة (ملِك) على (مالك)، والمعطيات هي:

الأول: الروائي

فقد تبين مما سبق أن الجانب الروائي يرجح قراءة(مَلِك) على (مالك)، إذ ظهر جليا أن الجملة الواسعة من القراء قرأوا بها؛ وهو ما يرفع من كونها القراءة الصحيحة، فالقراءة تثبت بالتواتر المتأتي من اعتمادها الكبير من القراء والصحابة والتابعين، والذي يزيد في قوة هذا المعطى ما روي من نسبتها للمتلقي الأول رسول الله(صلى الله عليه وآله) ووصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا واضح في قول أبي عبيدة : " الذي نختار ملك مرويا عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أثبت، ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر "(١١).

وفي هذا الإطار نجد أن المشهور عن مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، أن القران الكريم نزل على حرف واحد، وهو ما ورد عن الإمامين الباقر، والصادق(عليهما السلام)، كما جاء عن الفضيل بن يسار، قال: " قلت لأبي عبد الله الصادق(ع): إنَّ الناس يقولون: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد"(١٢)، وأفهم منه ضرورة البحث في هذه المواضع عما يرجح موضع على آخر؛ لذا كان ترجيح قراءة(ملك) متناغما مع أن الأصل في القراءة هي واحدة، وليست متعددة، وهو ما يستدعي البحث في ما يروى عن مدرسة آل البيت، وقد تقدم أنها نسبت إلى أمير المؤمنين(ع)، وينقل صاحب تفسير نور الثقليل عن العياشي قوله: عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقرأ ما لا أحصي (ملك يوم الدين)(١٣).

الثاني: الدلالي:

وجد المفسرون ما يشير إلى رجحانها دلالياً، إذ ورد " فَتَأْوِيلُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أَنَّ لِلَّهِ الْمُلْكَ يَوْمَ الدِّينِ خَالِصًا دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكًا جَبَابِرَةً يُنَازِعُونَهُ الْمُلْكَ وَيُدَافِعُونَهُ الِانْفِرَادَ بِالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْجَبْرِيَّةِ، فَأَيْقَنُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ أَنَّهُمُ الصَّغَرَةُ الْأَذِلَّةُ، وَأَنَّ لَهُ دُونَهُمْ وَدُونَ غَيْرِهِمُ الْمُلْكَ وَالْكِبْرِيَاءَ وَالْعِزَّةَ وَالْبَهَاءَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فَأُخْبِرَ تَعَالَى، أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ يَوْمَئِذٍ بِالْمُلْكِ من دُونَ مُلُوكِ الدُّنْيَا الَّذِينَ صَارُوا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ مُلْكِهِمْ إِلَى ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ"(١٤)، وهي مع هذا في المعنى أصحّ " لقوله تعالى:﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤] ، و: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر:٢٣] ، و: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس:٢]، و﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[غافر:١٦] "(١٥)، وجاء أن من قرأ مَلِك قال: ((الملك أشمل وأتم؛ لأنه يكون مالك ولا ملك له، ولا يكون مَلِك إلا وله مُلك، فكل مَلِك مالك، وليس كل مالك ملكا، ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [طه: ١١٤] وقوله:﴿الْمَلِكُ

الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] وقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦][١٦]، ولعلَّ التفاتة السيد الطباطبائي تأتي في هذا الإطار كما ورد في قوله: " وقد ذُكِر لكل من القراءتين، ملك ومالك وجوه من التأييد غير أنَّ المعنيين من السلطنة ثابتان في حقه تعالى، والذي تعرفه اللغة والعرف أن المُلك بضم الميم هو المنسوب للزمان يقال: ملك العصر الفلاني، ولا يقال مالك العصر الفلاني إلا بعناية بعيدة، وقد قال تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ فنسبه إلى اليوم، وقال أيضا: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[غافر:١٦]"([١٧])، وهنا يظهر أن السيد الطباطبائي قد رجَّح قراءة (ملك) بناء على الاستعمال القرآني والعرف اللغوي، في الوقت نفسه يثبت تداخل القراءتين في الدلالة وثبوتها دلاليا لكلا القراءتين.

وعلى الرغم من أن السيد الطباطبائي لم يصرح بترجيح أحد القراءتين، لكني اعتقد أنه رجَّح قراءة (ملك) كما ذكرت، لتعليله السابق، وقوله أيضا: " وقرأ الأكثر ملك يوم الدين، فالرب هو المالك الذي يدبر أمر مملوكه "([١٨])، وهنا يثبت أن الجانب الدلالي مع قراءة ملك، وكون قراءة مالك تضمنها لفظ (ربِّ العالمين) السابق٠

الثالث: النظام القرآني

لم يتوقف الترجيح لقراءة (مَلِك) عند العامل الروائي للذين قالوا برجحانها على قراءة (مالك) من العلماء المتقدمين الذين توقفوا عند القراءتين، وإنما أضافوا دليلا آخر يقوي من اختيار هذه القراءة، وهو الاستعمال القرآني لمفردة(ملك)، وهنا يستشف كيف التفت المتأمل في هاتين القراءتين إلى ضرورة النظر في النص القرآني بوصفه نصاً يكشف بعضه بعضاً ليكون دليلاً يعتد به، فهو– أي النص القرآني– الهادي الذي يهدي من يتأمله إلى الطريق السوي؛ كونه ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩] ، وهذا يعني أنه في الوقت نفسه يعد النص القرآني مبيناً لنفسه يستطيع المتأمل فيه الكشف عن حيثياته الدلالية والقرائية استناداً لما يؤسسه نظامه الذي يمكن أن نطلق عليه النظام الكلي الذي يمنحه سياقه الأفقي؛ لذا أنّ لفظة (ملك) وردت ثلاثين مرة في القرآن الكريم ، في حين لم ترد (مالك) سوى ثلاث مرات ، وهذا يشير إلى أن الاستعمال القرآني يفضل (ملك) على (مالك) ٠

من جانب آخر هذه المادة (الملك) "بأي هيأة استعملت تكون بمعنى الاستيلاء والإحاطة والاحتواء سواء بالنسبة إلى الخلق والإيجاد أو بالنسبة إلى النظم والانتظام "([١٩])، وهو أمر يقوي استعمال الأصل، وهو ما سنده الاستعمال القرآني، ويمكن أن نستشف من قولي الرازي: " وَاعْلَمْ أَنَّ وُرُودَ لَفْظِ الْمَلِكِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ مِنْ وُرُودِ لَفْظِ الْمَالِكِ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْمَلِكَ أَعْلَى شَأْنًا مِنَ الْمَالِكِ"([٢٠])، ثم يعرض له مرة أخرى في تفسير سورة الناس" أَنَّ قَوْلَهُ: بِرَبِّ النَّاسِ أَفَادَ كَوْنَهُ مَالِكًا لَهُمْ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ عَقِيبَهُ هَذَا الْمَلِكَ

لِيُفِيدَ أَنَّهُ مَالِكٌ وَمَعَ كَوْنِهِ مَالِكًا فَهُوَ مَلِكٌ"[٢١]، فالدلالة ترجح (مَلِك) على (مالك) لتضمن المعنى الثاني فيما تقدم من النص أولا، أي في (ربِّ العالمين)، وفي ملك ثانيا ٠

الرابع: خفة اللفظ

المعروف أن الخطاب القرآني يستعمل المباني التي تتماز بالسلاسة والخفة، وقد وصفها د٠ عبد الفتاح لاشين بقوله:" وكانت الكلمة القرآنية المكونة من تلك الحروف، لذيذة السماع على مستقبلها، معتدلة الوزن، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع، شديدة البعث لما تضمنته من المعاني "[٢٢]، والحق أن هذا الوصف يمثل ما أسَّس عليه الخطاب القرآني بنيانه، لذا تأتي قراءة (مَلِك) بوصفها أكثر اندماجا مع السياق القرآني عامة، والسياق النصي خاصة، ولا غرابة بعد ذلك إذا قلنا أنها أرجح من قراءة(مالك)، إذ يمكنني وصفها بانها القراءة الأم التي تعود إليها قراءة (مالك)، وغيرها ٠

الخامس: اللغوي:

يتأتى من أن الأصل هو (ملك)، وأن القراءة الثانية إنما هي تعود إلى هذا الأصل؛ لذا عدَّ الطبري، وغيره أن قراءة (ملك) تتضمن معنى مالك؛ لأن مالك اسم فاعل مشتق من ملك[٢٣]، وجاء في المخصص " وَقَالَ أَحْمد بن يحيى مَلِك الناسِ مِثْلُ سَيِّد النَّاس ورَبِ النَّاس ومالكُ يَوْم الدِّين فَإِذا كَانَ مَعَ النَّاسِ وَمن يَفْضُل عَلَيْهِم كَانَ مَلِكاً وَإِذا كَانَ مَعَ غَيْر النَّاس كَانَ مالِكاً، قَالَ أَبُو بكر، الِاخْتِيَار عنْدي مَلِك يَوْم الدِّين وَالْحجّة فِي ذَلِك أَن المِلْك والمُلْكَ يجمَعهُما معنى واحِدٌ ويَرْجِعانِ إِلَى أَصْل وَهُوَ الرَّبْط والشَّدُّ"[٢٤]، وهنا يظهر أن الاتساع الدلالي يتماشى مع الأصل اللغوي، لذا فقراءة (ملك) تمنح الجانب الدلالي مساحة أوسع من التأويل بما ينسجم مع المعطى اللغوي المتجسد في تصنيف قراءة (ملك) على الأصل اللغوي، ، ولا سيما أنها صيغة مبالغة على وزن(حَذِر)أو أنها أثبت في الاسمية؛ لأنها على الأصل كما ذكرت إذا ما قورنت بالقراءة المناظرة لها أي قراءة (مالك) التي لا خلاف في أنها اسم فاعل يفيد الحدوث والتجدد؛ لأنه ((يدل على ما يدل عليه الفعل ويستعمل في الأزمنة الثلاثة ويعمل منها في الحال والاستقبال))[٢٥]٠

السادس: أغلب القراءات الأخرى تتصل بـ(ملك) لا بـ(مالك)

يتأتي هذا المعطى من النظر إلى جملة من القراءات الأخرى التي تفصح عن ترجيح واضح لقراءة (ملك)، ومن تلك القراءات[٢٦]:

١- قراءة (مَلْك)، وقد رويت منسوبة إلى عاصم الجحدري من التابعين، وأبي عمرو من القراء السبعة٠

٢- قراءة مَلِكَ على وزن (فَعِلَ)، ونسبت لابن كثير من القراء السبعة، وأبي الدرداء من الصحابة٠

٣- قراءة (ملكي) بإشباع الكسر، ونسبت إلى أحمد بن صالح عن ورش عن نافع.
٤- قراءة مَلَكَ على وزن (فَعَلَ)، وهنا جاءت فعلا ماضيا، ونسبت إلى عاصم بن ميمون الجحدري من التابعين، والحسن من القراء الأربع عشرة، ونسبت أيضا لأنس بن مالك من الصحابة(٢٧) .
٥- قراءة (مَلُكَ) على وزن فَعُلَ، وجاءت فعلا مبنيا للمجهول، منسوبة لعاصم الجحدري من التابعين، ورواها الجعفي وعبدالوارث عن أبي عمرو من القراء السبعة .
٦- قراءة (ملكًا) ورويت عن ابن عاصم عن اليمان.
٧- قراءة (مليكِ) على وزن فعيل، ونسبت للصحابي أبي بن كعب.

ويبدو واضحا أن هذه القراءات إنما هي تتصل بقراءة (ملك) من دون (مالك)، وهي تؤيد بشكل جلي وواضح ترجيحنا لهذه القراءة، وهذا المعطى القرائي يعد من الأهمية بمكان في تثبيت وبيان القراءة الأس التي نحن بصددها، وهنا سنذكر رأي ابن خالويه الذي توقف عند قراءة (مليك)عادا هذه القراءة لغة في قراءة (ملك) مستدلا بأبيات الفرزدق وابن الزعبرى(٢٨)، إذ يقول الفرزدق:

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتا بناه لنا المليك ومـــا بنى ملك السماء فإنه لا يُنقل

وقول ابن الزبعرى:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

ولا يحتاج المتأمل في جملة هذه القراءات للاستدلال على أنها تعود لقراءة ملك؛ لأن رسم المصحف الذي تناقلته الأجيال كُتِب بقراءة(ملك)، وإنما كانت علامات الترقيم في وقت تالي لجمع المصحف، التي منها وضع علامة (الألف) أعلا (ملك) للإشارة للقراءة المناظرة اقصد قراءة(مالك)، لذا نجد السيد محمد محمد صادق الصدر(قدس) قد دعا إلى الإفادة من سائر القراءات كأطروحات محتملة لدفع مشكلة، أو لتغيير سياق أو لإيضاح معنى، وهذا ما تبين في هذا المعطى القرائي الذي دلَّ على أنَّ القراءة الأم هي قراءة (ملك) وليست قراءة(مالك) التي تعود في الأصل إلى قراءة (ملك).

والجدير بالذكر أن التأمل في جملة المعطيات السابقة يورث الترجيح لقراءة ملك على مالك، وإن هذا الأمر جاء متضافرا مع الرواية التي قرأ بها أغلب القرَّاء المشهورين في عصر الأئمة (عليهم السلام)، والتي أقرَّها الأئمة، فلم يصدر عنهم نهيا عن القراءة بما هو سائد بين الناس هذا من جهة، ومن جهة أخرة نجد أن جملة المعطيات السابقة متداخلة إلى حدٍ كبير، فالجامع بينها يكاد يكون المعطى الدلالي، وهو أمر طبيعي؛ لأن المستوى الدلالي يعد خلاصة للمستويات الأخرى، بل أن تضافرها يعد الجامع الأساس في تشكل الدلالة.

خاتمة البحث

في ضوء ما تقدم نستطيع القول إنَّ قراءة (مَلِك) أرجح من قراءة(مالك)؛ لما ذكرته سابقاً، وهو :

• إنَّ أكثر القرّاء الذين بين أيدينا قراءاتهم قد قرأوا (مَلِك) وعند استقصاء طرقهم يصل بنا إلى حد التواتر، ما يجعلنا أن نلحقها بموضع الاتفاق لتواترها٠

• إنَّ السياق القرآني يؤيد قراءة(ملِك)، إذ وردت هذه اللفظة ما يزيد على ثلاثين مرة في القرآن الكريم، في حين وردت لفظة (مالك) ثلاث مرات فقط؛ لذا فالأرجح هو الأكثر استعمالا في القرآن الكريم ، لاسيما أنَّ القرآن تبيان لكل شي فممكن أن نتبين ونستشف منه ذلك ٠

• تجنب تكرار المعنى المتضمن في (ربّ) المتقدمة والذي تضمن معنى(مالك)، إذ يتبادر للذهن ذلك مباشرة خلاف القراءة المرجوحة.

• إنَّ كلا اللفظتين (ملك ، ومالك) تعطي معنى (الإحاطة والشمول) ما يرجح استعمال (ملك) لخفة اللفظ والإيجاز٠

• إنَّ التأمل في آراء علمائنا الإعلام يورِث العلم بعدم ترجيح قراءة (مالك) على غيرها ، وإنما هناك من رجّح عموم قراءة حفص كما هو عند السيد الشهيد محمد الصدر الذي اتخذ من سائر القراءات أطروحات محتملة لدفع مشكلة ،أو لتغيير سياق أو لإيضاح معنى٠

في الختام اسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ويوفق الجميع لما يحبُّ ويرضى أنه نعم المولى ونعم النصير٠

الباحث

د٠علي عبدالحسن جاسم آل اجليهم

هوامش البحث:

١) ينظر: البيان في تفسير القران، للسيد الخوئي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ ٣ ، ١٩٧٤م : ١٨٧.

٢) البدور الزاهره في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة ، عبد الفتاح القاضي ، مكتبة أنس بن مالك ، السعودية ، ط /٢٠٠٢ : ١٥٨. .

٣) كتاب السبعة في القراءات ، أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد (٢٤٥هـ) ، تحقيق: شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف – مصر: ١٠٥ ٠

٤) النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، إشراف وتصحيح :على محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت : ٢٧١/١ ٠

٣) إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، لمقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ٧٠/١ .

٦) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: ١٣٩/١ ، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م: ١١٢/١ ٠

٧) البيان للسيد الخوئي: ٤٥٠ ٠

٨) البيان، للسيد الخوئي: ٤٤٩ .

٩) ينظر منة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد الشهيد محمد الصدر ، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ، المقدمة: ٣٣ ٠

١٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، مطبعة الآداب– النجف ١٩٨٤م :٣٢/١ ٠

١١) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ): ٦٧/١ ٠

١٢) أصول الكافي، محمد بن يعقوب، الكليني، إشراف علي أكبر غفاري، الناشر: المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٦٢م : ٢/ ٦٣٠ .

١٣) تفسير نور الثقلين، العلامة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تح: السيد علي عاشور: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان،ط/ ١:١/٣٥ .

١٤) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): ١٥٠/١ ٠

١٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): ٦٧/١ ٠

١٦) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن الواحدي، النيسابوري،: ٦٧/١ .

١٧) الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات–بيروت ط١– ١٩٩٧م: ١/ **٢٥** .

١٨) الميزان للطباطبائي : ١/ ٢٤ .

١٩) مواهب الرحمن للسبزواري ٣١/١ ٠

٢٠) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/٣– ١٤٢٠

٢١) مفاتح الغيب : ٧٧/٣٢ ٠

٢٢) من أسرار التعبير في القرآن الكريم صفاء الكلمة، د٠عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة، ط(١)، ٢٠١٤م :٣ ٠

٢٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري : ١٤٩/١ .

٢٤) المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ٣٢٢/١ .

٢٥) الأشباه والنظائر في النحو لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي، مراجعة وتقديم: فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٩٨٤م : ٢٤٤ .

٢٦) ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية والرسم القرآني: محمد حبش: ٢٩٩ .

٢٧) ينظر : إعراب القراءات السبع لابن خالويه : ١/ ٤٨ .

٢٨) ينظر: إعراب القراءات السبع : ١/ ٤٧، ٤٨ .

المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم ٠

– إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، لمقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر،(د٠ت) ٠

– الأشباه والنظائر في النحو، لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي، مراجعة وتقديم: فايز ترحيني،دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٩٨٤م .

– أصول الكافي، محمد بن يعقوب، الكليني، إشراف علي أكبر غفاري، الناشر: المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٦٢م ٠

– إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، نشر مكتبة الخانجي، ط/ ١، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.

– البدور الزاهره في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة ، عبد الفتاح القاضي ، مكتبة أنس بن مالك ، السعودية ، ط/٢٠٠٢ .

– البيان في تفسير القرآن، للسيد الخوئي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ ٠

– تفسير نور الثقلين، العلامة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تح: السيد علي عاشور: مؤسسة التاريخ العربي، ط/١، بيروت، لبنان .

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية

بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م٠

- شرح الشاطبية المسمى: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، للإمام الشاطبي المتوفي سنة ٥٩٠هـ ، تأليف : الإمام : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بـ : أبي شامة، المتوفي سنة ٦٦٥هـ.٠

- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: محمد حبش، دار الفكر، ط/١، دمشق، ١٩٩٩م .

- كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد(٢٤٥هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، طبعة دار المعارف - مصر.

-الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .

- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/٣- ١٤٢٠ هـ : ١٣٠/١ ٠

- من أسرار التعبير في القرآن الكريم صفاء الكلمة، د٠عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة، ط(١).

- منة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد الشهيد محمد الصدر ، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ٠

- الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ط١/- ١٩٩٧م .

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري مطبعة الآداب- النجف ١٩٨٤ ٠

- النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، إشراف وتصحيح: على محمد الضباع، دار الكتب العلمية - بيروت٠

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م٠